مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : ٣٨ ، العدد: ١ السنة : ٢٠١٣ ، ص ٢٦٢- ٢٨٤

أبعاد الموقف الجيوستراتيجي الإيراني من الثورات الشعبية في الدول العربية : (ثورتي تونس ،ومصر أنموذجا")

أ.م.د. فهد مزبان خزار الخزار

الخلاصة :-

يهدف البحث إلى تحليل أبعاد الموقف الجيوستراتيجي الإيراني من الثورات الشعبية في الدول العربية مع التركيز على ثورتي تونس ومصر أنموذجا"، كما يسعى إلى الإجابة عن تساؤل أساسي مؤداه: هل إن الموقف الإيراني محكوم بمعايير مصلحة (إيران الدولة) أم (إيران الثورة) التي تلتزم بسقف أيديولوجي، ويختم البحث بمحاولة لاستشراف مستقبل الدور الإقليمي لإيران بعد الثورات الشعبية في الدول العربية وتداعياتها على الصعيدين الإقليمي و الدولي .

المقدمة :

كيف تبدو الثورات العربية في نظر الدول المجاورة للعالم العربي؟ هنا يبرز موقف كل من إيران وتركيا، باعتبارهما أكبر دول الجوار العربي وأهمها، وقبل ذلك وبعده الأكثر التصاقاً جغرافياً وتاريخياً بالعرب. من الطبيعي أن تهتم هاتان الدولتان كثيراً بموجة الثورات الشعبية التي تعصف بعدد من الدول العربية. لكن اهتمام هاتين الدولتين بما يحدث ليس متماثلاً، ولا حتى متشابهاً، في وجهته أو أهدافه. وهذا ناتج عن أن إيران تختلف عن تركيا في أمور كثيرة، من أبرزها طبيعة الدولة في كل منهما، وطبيعة الدور الإقليمي الذي ينبع من هذه الطبيعة قبل أي شيء آخر. وعليه ، يمكن القول إن موقف أنقرة وطهران من الثورات العربية شابه شيء من الارتباك، لأسباب ودوافع مختلفة. لكن ما يبدو على السطح تشابهاً في موقف الدولتين، هو في الواقع أكثر اختلافاً في العمق .

وبتخصيص الموضوع على إيران (موضوع الدراسة) نلحظ أن موجات التغيير والتحول الديمقراطي، التي اجتاحت الدول العربية منذ بداية عام ٢٠١١،أربكت أوراق وحسابات إيران. ورغم أن الوقت لا يزال مبكرا" للحديث عن تأثير هذه الثورات والاحتجاجات الشعبية في التوازن الاستراتيجي في المنطقة، فإنه يمكن القول إن هذه التطورات تفرض تداعيات متباينة علي مصالح إيران ودورها الإقليمي. وهو ما يفسر حالة الارتباك الواضحة التي اتسم بها تعامل طهران مع هذه التطورات، لدرجة لا يمكن الحديث معها عن "سياسة إيرانية واحدة "، وإنما " سياسات متعددة "، وربما متناقضة في بعض الأحيان.

مشكلة البحث:

تنطلق مشكلة البحث من التساؤل التالي :تثير موجة الثورات التي تشهدها الدول العربية، منذ بداية عام ٢٠١١، العديد من علامات الاستفهام حول مستقبل المنطقة وقضاياها وأدوار مختلف الفاعلين فيها. وتزداد في هذا السياق أهمية تحليل كيفية تعامل إيران مع هذه التغيرات ؟ ، والتأثيرات المتوقعة لها في الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط ؟.

فرضية البحث :

من خلال مشكلة البحث وما يترتب على دراسة أبعاد الموقف الجيوستراتيجي الإيراني من الثورات الشعبية في الدول العربية عموما"، وثورتي مصر وتونس بشكل خاص ، يمكن صياغة الفرضية الآتية : (إن موقف إيران ورؤيتها للثورات الشعبية في الدول العربية محكوم بمعايير مصلحة "إيران الدولة" ومكاسب "إيران الثورة" وليس الثورة التي تلتزم بسقف أيديولوجي. ذلك لا يعني أن إيران استبعدت أيديولوجيتها في تعاملها مع تطورات محيطها الخارجي، بل إنها تستدعيها في كثير من الأحيان، لكن عندما تكون متسقة مع مصالحها. أما في غير ذلك، فإنها تغلب الأخيرة في كل الحالات).

وعليه،يسعى هذا البحث إلى مقاربة ما يجري من تحولات جيوبوليتيكية على رقعة الشطرنج الإقليمية إثر الثورات العربية، وانعكاسات ذلك على سياسة إيران أكثر اللاعبين الإقليميين أهمية في المنطقة العربية ، وعلى مصالحها ونفوذها ، كما على طبيعة وشكل ومستقبل العلاقة بينها وبين الدول العربية في ضوء هذه التحولات، وذلك من خلال المحاور التالية :

أولا":الملامح العامة للمنظور الإيراني للثورات الشعبية في الدول العربية :

إن إيران لم تكن بمعزل عن الثورات الشعبية التي بدأت أولا" في الجمهورية التونسية، وآلت إلى نجاح الإرادة الشعبية لأبناء تونس، وذهاب الرئيس زين العابدين بن علي خارج نظام الحكم وحدود الدولة، تلتها ثورة شعبية عظيمة في مصر، كانت – مع الأسف– أكثر دموية من سابقتها، ولكنها كانت أقصر أمدا"، وانتهت بتنحي حسني مبارك عن رئاسة الدولة.

وعليه،يمكن قراءة المعالم التالية في المواقف الرسمية الإيرانية ، تجاه الثورات الشعبية في تونس ومصر :

أولا": التأكيد على أن الثورات العربية هي «بوادر يقظة إسلامية، مستوحاة من الثورة الإسلامية الإيرانية».(١) والنظر إلى هذه الثورات كجزء من التغييرات التي «تواصلت ببركة صمود ومجاهدة الشعب

الإيراني خلال الأعوام الـ ٣٢ الأخيرة»، حسب قول المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، علي خامنئي،في خطبة الجمعة التي ألقاها في جامعة طهران في الرابع من شباط / فبراير ٢٠١١ بمناسبة ذكرى قيام الثورة الإسلامية الإيرانية.(٢) وقد تم التركيز على إعطاء الثورات العربية الشعبية صفة «الصحوة الإسلامية»، المستمدة من الثورة الإيرانية، في كثير من الأحاديث الرسمية، وتصريحات رموز التيار المحافظ .(٣)

ثانيا": التبشير بالأسلوب الإيراني «للثورة»، من خلال الدعوة إلى نظام «شعبي على أساس الدين»، على الطريقة الإيرانية، ومناشدة «رجال الدين» في مصر «للقيام بدور نموذجي، من خلال استخدام المساجد لترديد الشعارات التي يرددها الشعب في الشارع» حسب قول المرشد الأعلى للثورة (علي خامنئي).(٤) أما الرئيس محمود أحمدي نجاد فقد أكد أن «المستضعفين في العالم سينتفضون لترسيخ التوحيد والعدالة». وأشار إلى أن «الأرض تستعد لإقامة حكومة الصالحين، وأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تمثل صوت الدعوة الإلهية للبشر لإرساء التوحيد والعدالة».(٥)

ثالثا": إضفاء طابع أيديولوجي على الثورات، واعتبارها ثورة على تبعية الحكام للغرب؛ وذلك من خلال التركيز على مواقف الأنظمة ــ في الدول التي اجتاحتها الثورات ــ تجاه الغرب وإسرائيل، وتخليها عن دعم القضية الفلسطينية. ويبدو ذلك واضحا" في وصف المرشد الأعلى (خامنئي)، الرئيس المخلوع حسني مبارك، بأنه كان «خادما" مطيعا" للأمريكيين وإسرائيل خلال ثلاثين عاما"».(٦) وفي تصريح يعيد للأذهان فكرة «تصدير الثورة» التي كانت جزءا" من أيديولوجيا الثورة الإسلامية الإيرانية في بداية عهدها، «بشّر» المرشد الأعلى (خامنئي) بحتمية انتقال هذه الثورات، و«الصحوة» إلى أوروبا. بسبب سياساتها وعزا ذلك إلى سياسات أوروبا و«استسلام حكامها، بشكل مطلق، لسياسات أمريكا والصهاينة الثقافية والاقتصادية».(٧)

ثانيا":الرؤية الإيرانية للثورة الشعبية التونسية :

رغم اليقين التاريخي بأن الثورة التونسية شارك فيها مختلف الأطياف الشعبية في سابقة عربية يصعب تكرارها، وأنها كانت ثورة على الأوضاع الداخلية من بطالة وظلم وقهر اجتماعي وسياسي، فهي حركة شعبية بكل المقاييس بعيداً عن أي قيادة سياسية دينية أو فكرية من الممكن أن تُنسب لها، مع محاولة بعض التيارات أن تستفيد من منجزات الثورة بإضفاء سمة غير شعبية عليها.(٨) إلا أن لإيران خاصة على مستوى الخطاب السياسي المعلن رأي آخر ، قد يأتي متسقاً مع الخلفية الإسلامية للنظام الإيراني، فالسائد في الخطاب السياسي الإيراني حال تعامله مع الثورة التونسية، رغبة ملحة في صبغها بصبغة إسلامية بعيدة كل البعد عن الواقع التونسي حتى الوقت الراهن على الأقل، في

محاولة ملحة من قبل النظام السياسي الإيراني أن يضفي مشروعية دينية مقدسة على الثورة التونسية، ولكن ستظل له أسبابه السياسية والتاريخية.(٩)

قال الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد (١٩ يناير / كانون الثاني ٢٠١١): إن التونسيين يسيرون على طريق إقامة حكم إسلامي في بلادهم، بعد الإطاحة بالرئيس زين العابدين بن علي، الذي كان مدعوما" من الغرب وقال أحمدي نجاد، وسط صيحات الابتهاج التي أطلقتها حشود في مدينة يزد، وسط البلاد: «من الواضح جدا" أن الشعب التونسي انتفض ضد الديكتاتور المدعوم من الغرب، واستخدموا شعارات إسلامية وإنسانية وتوحيدية ومنادية بالعدل». وأضاف في الكلمة التي نقلها التلفزيون الرسمي مباشرة، حسب وكالة الصحافة الفرنسية: «بكلمة واحدة، التونسيون يسعون إلى تطبيق القوانين والأحكام الإسلامية». وتأتي تصريحات أحمدي نجاد بعد أن أعرب ٢٢٨ نائبا" في البرلمان الإيراني (مجلس الشورى الإسلامي)، المؤلف من ٢٩٠ نائبا"، عن دعمهم لما وصفوه بـ«الحركة الثورية» للشعب التونسي. وجاء في بيان للنواب أن «برلمان الأمة الإيرانية يدعم بثبات الحركة الثورية للشعب التونسي الشجاع، ويتمنى له التوفيق». وأضاف البيان أن «صرخة الحرية التي أطلقها الشعب التونسي أنهت مرحلة الطغيان والفظاعات، ووضعت ابتسامة على وجه هذا الشعب المضطهد ».(١٠)

وفي الرابع من فبراير/ شباط ٢٠١١، قال مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية (علي الخامنئي)، في خطبة الجمعة، إن المحرك الأساس للثورة التونسية هو إحساس الناس الشديد بالإهانة، وليس ما يروّجه البعض من الأسباب الاقتصادية أو غيرها، وهي عوامل مؤثّرة بالطبع. وأشار إلى أنّ ما حدث ليس إلاّ بداية لتحقّق توقّعات الإمام الخميني التي أعلنها قبل سنوات طويلة. وأوضح مرشد الثورة الإيرانية أنّ لديه تقاريرَ تثبت أنّ الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي كان عميلا لجهاز المخابرات الأمريكية، وقال: "إنّ الدافع الأساسي لهذه الثورة هو الإسلام، والدليل أنه مباشرة بعد هروب الخائن من البلاد، ذهبت الطالبات بحجابهنّ إلى الجامعات، وهو ما تتكتّم عليه وسائل الإعلام الغربية". وأضاف الخامنئي قائلا : " الدافع الآخر هو ارتباط البلاد بأميركا، والأميركيون لا يريدون ذِكر هذا الأمر ".(١١)

تلك اللهجة مفعم بها كذلك خطابات رجال الدين في إيران ، فآية الله العظمى (لطف الله صافي كلبيكاني) أحد مراجع الشيعة الكبار والذي شغل عضوا" في (مجلس الخبراء) في عهد الإمام الخميني بدايات الثورة الإسلامية الإيرانية، والمحسوب ضمناً الآن على التيار المحافظ في إيران، أصدر بياناً موجهاً للشعب التونسي يعتبر فيه أن الشعب التونسي قد ثار ضد النهج العلماني اللاديني للنظام، لذا

وفقه الله ونصره، لأنه شعب قرر أن يحقق الإسلام في ظل دولة الكفر.وكذلك آية الله (مكارم شيرازي) الذي كان ذا حضوراً قوياً في بدايات الثورة الإيرانية، والمحسوب الآن على التيار الإصلاحي بشكل ما ، بعد موقفه المعارض من الاعتقالات السياسية التي وقعت بعد الأحداث التي تلت انتخابات الرئاسة في إيران، الذي اعتبر أن خروج الشعب التونسي شبيهاً بثورة الشعب الإيراني ضد الطاغوت الملكي. وامتداداً لنفس الخط، صرح آية الله(محمد علي تسخيري) رئيس مجمع التقريب بين المذاهب، أن ثورة شعب تونس لم تكن بسبب الخبز أو العمل أو غير ذلك، وإنما هي ثورة ضد الكفر، فالمطلب الأساسي للشعب التونسي الآن أن يطبق الملامح الإسلامية في الحياة الاجتماعية، فزين العابدين بن علي كان أسوأ نظام علماني ضد الدين من منع للحجاب وغيره من المظاهر الغربية، وأنه على الشعب التونسي المسلم أن يواجه أي محاولة غربية في السيطرة على الثورة الإسلامية التي نحج فيها الشعب التونسي.(١٢)

بشكل عام يحاول النظام السياسي الإيراني بشتى أطيافه السياسية أن يقفز على الأحدث التونسية خاصة في حالة المخاوف الغربية من سيطرة التيار الإسلامي على الحياة السياسية في تونس كرد فعل على العلمانية الدكتاتورية التي انتهجها بن علي خلال فترة حكمه، خاصة بعد الإفراج العام للمعتقلين باختلاف توجهاتهم، وكذلك ظهور نجم حزب النهضة بخلفيته الإسلامية الأخوانية بعد فترة قمع طويلة.فإيران تحاول أن تقدم الأجندة المعاكسة للأجندة الغربية ، في محاولة لتحقيق أي مكاسب ممكنة في ساحة كانت ممنوعة من الولوج فيها، بتقديم دعم حتى على المستوى الإعلامي للتوجهات الدينية في تونس.فعلى المستوى التاريخي كانت العلاقات التونسية الإيرانية بعد الثورة الإسلامية متوترة للغاية، خاصة بعد الدعم الذي كانت تقدمه تونس للعراق في حرب الخليج الأولى (١٩٨٠ – ١٩٨٨)، وكذلك الادعاءات التونسية المتكررة بوجود دعم إيراني للجماعات الإسلامية في تونس .(١٣)

كما أن النظام السياسي الإيراني يحاول أن يحقق مكاسب داخلية بأسلمة الثورة التونسية، فالمخاوف من تكرار السيناريو التونسي إذا تمكنت بعض عناصر المعارضة الإيرانية من استغلال بعض الانقسامات الداخلية بين المؤسسات الحاكمة للنظام، خاصة مؤسسة الولي الفقيه والبرلمان (مجلس الشورى) من جانب، ومؤسسة الرئاسة والحرس الثوري من جانب آخر، من خلال تضخيم صورة الثورة التونسية بوصفها ثورة شعبية صرفة أمام جموع الشعب الإيراني الذي أصبح يلقى معاناته الخاصة في ظل الأزمات الاقتصادية الحالية ، مما قد يؤدي إلى احتجاجات قد تخرج من نطاق السيطرة الأمنية.فجاءت تصريحات الرموز الدينية والسياسية كحركة استباقية بإضفاء قداسة دينية على الثورة التونسية، وربطها مباشرة بالثورة الإسلامية الإيرانية، وكأن النظام يريد أن يقول أن ما حققته إيران

منذ ثلاثين عاماً جاء ملهماً لكل شعوب المنطقة والدليل على ذلك ما حدث في تونس، وبالتالي نحن لا نحتاج لأي تغير قد تدعوا إليه المعارضة.

ثالثا":حيثيات الموقف الإيراني إزاء الثورة الشعبية في مصر :

كانت الأحداث التي شهدتها مصر على مدى ثمانية عشر يوماً، وانتهت بتنحي الرئيس المصري حسني مبارك عن منصبه في ١١ فبراير/ شباط ٢٠١١ ، محط نظر واهتمام كبيرين من جانب النظام السياسي الحاكم في إيران، والذي يعاني بدوره من مأزق داخلي متواصل منذ الإعلان عن إعادة انتخاب محمود أحمدي نجاد رئيساً للجمهورية الإسلامية منتصف العام ٢٠٠٩. ويعود هذا الاهتمام إلى عدد من الاعتبارات يأتي في مقدمتها أهمية مصر ودورها الإقليمي؛ فمصر تشكل العمود الفقري في المنطقة العربية، وإسقاط نظامها السياسي، أو إضعافه، سيكون له تداعياته التي تصب في مصلحة إيران، ولاسيما أن مصر/ مبارك كانت تتبنى موقفاً متحفظاً، إن لم يكن معارضاً لسياسة طهران الإقليمية ، كما أن مصر، التي كانت تقود "محور الاعتدال"، تكاد تكون الدولة العربية الوحيدة التي ليس لها تمثيل دبلوماسي مع طهران، وبالتالي فإن سقوط نظام مبارك من شأنه – في تقدير طهران— أن يعزز من وضع إيران الإقليمي.

لهذه الاعتبارات وغيرها، سارع النظام السياسي الإيراني إلى تبني موقف مؤيد للثورة الشعبية المصرية حتى قبل أن تستكمل دورتها النهائية بإعلان الرئيس مبارك تخليه عن منصبه، وتمثل ذلك في قيام المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية، علي خامنئي، بتخصيص عشرين دقيقة من خطبة الجمعة التي ألقاها في الرابع من فبراير / شباط ٢٠١١ باللغة العربية، لتأييد المتظاهرين في مصر، زاعماً أنهم يسيرون على هدي الثورة الإسلامية الإيرانية، وداعياً إلى إقامة نظام إسلامي في مصر مؤكداً إن الانتفاضات العربية «زلزال» تلى الثورة الإسلامية في إيران في ١٩٧٩ ، حيث اعتبر خامنئي أن الأحداث التي وقعت في مصر وتونس هي "بوادر يقظة إسلامية" في العالم مستوحاة من الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩، داعياً الشعب المصري إلى مواصلة انتفاضته حتى "إقامة نظام شعبي يقوم على الديانة الإسلامية"، كما أعرب عن اعتقاده بأن سقوط النظام في مصر سيتيح "إقامة شرق أوسط إسلامي".(١٤)

ما ذكره خامنئي في خطبته وجد صداه لدى العديد من المسؤولين الإيرانيين الذي أعلنوا عن مواقف مشابهة، ومن هؤلاء الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رافسنجاني الذي صرح بدوره في مقابلة نشرتها

صحيفة " جمهوري إسلامي" الإيرانية أن "مصر تحتاج إلى إمام خميني؛ فوجود مثل هذا القائد أمر ضروري لمصر "،داعيا" المصريين إلى الاستمرار في تظاهراتهم. وقال رفسنجاني الذي لا يزال يترأس مؤسستين أساسيتين في الجمهورية الإسلامية، هما مجلس تشخيص مصلحة النظام ومجلس الخبراء، أن "وجود قائد مثل الإمام الخميني أمر ضروري لمصر ".(١٥) كما اعتبر الرئيس الإيراني الحالي محمود أحمدي نجاد أن " العالم يشهد الآن صحوة إسلامية ضد الاستبداد، تشمل مصر وتونس اللتين تؤسّس أحداثهما لشرق أوسط جديد لا مكان فيه للولايات المتحدة وإسرائيل، وينبئ بنصر وشيك ".(١٦)

وتنطوي محاولة النظام السياسي الإيراني إضفاء طابع إسلامي على الثورة الشعبية في مصر على هذا النحو، والزعم بتأثرها بالثورة الإسلامية الإيرانية في عام ١٩٧٩، على كثير من المغالطات، كما أنها تمثل تجاوزاً للعديد من الحقائق التي أحاطت بهذه الثورة، وذلك بالنظر إلى اعتبارات عدة، منها :

١- أن التيارات الإسلامية التي شاركت في هذه الثورة وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، لم تكن هي التي بادرت بالدعوة إلى هذه الاحتجاجات، بل إن بعض هذه التيارات رفضت في البداية الانضمام إليها، ثم لحقوا بها بعد أن ازدادت زخماً وقوة. وشكلوا بشكل عام نسبة محدودة من جملة المشاركين في الثورة. وقد عبر عن ذلك خير تعبير، د. ناجح إبراهيم، منظر الجماعة الإسلامية، في حديثه لصحيفة الشروق الأوسط ، قائلاً: " إن هذه الثورة ملك للذين صنعوها وهم شباب الـ (فيس بوك)، فهم الذين دعوا إليها، وهم الذين ضحوا من أجلها، وحققوا النصر فيها، أما الإخوان المسلمين فقد جاؤوا بعد أن غادرت الشرطة الشارع، ومن حضر منهم حضر كغيره من أبناء الشعب المصري ".(١٧)

٢- أن الإسلاميين الذين شاركوا في الثورة، انضموا إليها تحت راية الحرية والديمقراطية التي رفعها الشباب الذين كان أغلبهم من العلمانيين، ولم تشهد ساحة ميدان التحرير أو أي ساحة أخرى رفع أي شعارات دينية، وإنما كانت هناك مطالب ذات طابع مدني. وهو ما أكده د. رشاد البيومي، عضو جماعة الإخوان المسلمين ، بقوله: " إن ما حدث في مصر ليست ثورة إسلامية وليست إخوانية، فالذين قاموا بها هم شباب يستحقون التقدير والاحترام ".(١٨)

ولكن السؤال المطروح هو لماذا وضع النظام السياسي الإيراني هذه الثورة في إطار إسلامي، وزعم أنها تأثرت بالنموذج الثوري الإيراني، على الرغم من أنه لا ناقة للنظام الإيراني ولا جمل في تحريك هذه الثورة ؟

وذلك يرجع إلى اعتبارات عدة: **أولها**، أن النظام السياسي الإيراني، يحاول من خلال هذه المزاعم تأكيد استمرار نجاح نموذجهم الثوري الذي يواجه تحدياً داخلياً هو الأقوى منذ اندلاع الثورة. وعلى الرغم من أن النظام نجح مرحلياً، في احتواء التظاهرات والاعتصامات التي نظمتها قوى المعارضة

في أماكن ومواقع عدة احتجاجاً على نتائج الانتخابات الرئاسية ٢٠٠٩، باستخدام كل الوسائل، بما فيها المواجهات الساخنة،فإن الأزمة مازالت تتفاعل وأحدثت انشقاقاً في الجبهة الداخلية، ولم تتم معالجتها بشكل مناسب حتى الآن، فلجأ قادة النظام السياسي الإيراني إلى الأسلوب التقليدي بمحاولة إشغال الداخل بتحقيق نجاحات الخارج عبر الزعم بأن الثورة المصرية هي من نتاج الثورة الإيرانية.

ثانيها: أن لإيران، كما هو معروف، تطلعات لأداء دور إقليمي ، وهي تسعى للحصول على اعتراف إقليمي ودولي بثقلها الاستراتيجي ونفوذها الإقليمي، ومن ثم فهي رأت في الثورة الشعبية المصرية فرصة للزعم بأنها جاءت نتيجة تأثيرها الإقليمي، كما أنها قد تمثل محاولة للتأثير في التوجهات المستقبلية لمصر عبر الحصول على تأييد القائمين بالثورة لها بعد الظهور بمظهر الداعم لهم في مواجهة النظام السابق.وجاءت تصريحات وزير الخارجية المصري، نبيل العربي، لتؤكد ذلك، حيث تحدث عن التقارب مع إيران، و عن التعامل مع جميع الأطراف اللبنانية بما في ذلك حزب الله. وذلك بالإضافة إلى سماح المجلس العسكري في مصر بمرور أول بارجتين إيرانيتين عبر قناة السويس، لأول مرة منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، في دلالة على بداية عهد جديد من العلاقات المصرية الإيرانية. أما الاعتبار **الثالث** فيتمثل، كما يرى بعض المتابعين، في حقيقة أن إيران رأت في الاحتجاجات المصرية فرصة مناسبة لصرف أنظار العالم عن برنامجها النووي لبعض الوقت.ويأتي ذلك ضمن إستراتيجية للمناورة وكسب الوقت تعتمدها إيران في التعامل مع الضغوط الغربية والأمريكية تحديدا" فيما يتعلق بملفها النووي .(١٩)

رابعا": مستقبل الدور الإقليمي لإيران بعد الثورات الشعبية العربية :

أثارت الثورات الكثير من التساؤلات حول موقع ودور طهران في المنطقة، والطريقة التي ستتفاعل بها الأنظمة العربية الجديدة معها، وإذا ما كانت الثورات ستصل إلى إيران نفسها في نهاية المطاف؟ .

ومن غير الواضح ما إذا كانت الثورات العربية عززت من موقع وقدرات إيران في المنطقة أو أنّها على العكس من ذلك أضعفت موقعها وقوّضت نفوذها؛ إذ لا يوجد إجماع على كون هذه الأحداث ذهبت بإيران إلى احد الاحتمالين بشكل قطعي؛ فأنصار الرؤية التي تقول: إنّ الثورات عززت من موقع إيران ونفوذها يستندون في ذلك على عدد من الحجج منها :

– أنّ الأنظمة التي تمّ الإطاحة بها هي أنظمة حليفة للولايات المتّحدة، والمتبقية منها أيضا تترنح تحت الضغط الشعبي.

– أن إيران نفسها تنظر إلى الأمر من زاوية أنّه "صحوة إسلامية"، وأنّ ذلك سيفيدها في النهاية.

– أن الأنظمة العربية الجديدة لن تكون مستعدة على الأرجح لاتخاذ إجراءات معادية لإيران، وحتى التي لا تزال قائمة ستكون حذرة من اعتماد سياسية خارجية لا تتمتع بزخم شعبي.(٢٠)

– توجيه اهتمام المجتمع الدولي بعيدا" عن أزمة الملف النووي الإيراني، ومحاولة كسب مزيد من الوقت، سواء لمواجهة الصعوبات التكنولوجية التي واجهت البرنامج النووي في الفترة الأخيرة، مثل فيروس "ستوكسنت" الذي نجح في إخراج عدد غير قليل من أجهزة الطرد المركزي عن دائرة السيطرة، أو لتحقيق أكبر قدر من التقدم في عمليات تخصيب اليورانيوم، حيث كان لافتا" نجاح إيران منذ فبراير / شباط ٢٠١١ – خلال ذروة اشتعال الثورتين المصرية والتونسية– في زيادة مخزونها من اليورانيوم منخفض التخصيب بنسبة (٣,٥٪) بمقدار (٤٩٩) كيلو جرام من (٣٦٠٦) كيلو غرام إلى (٤١٠٥) كيلو غرام.(٢١)

– تقليص حالة الأهمية والزخم التي حظيت بها حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية التي أجريت في عام ٢٠٠٩، وأسفرت عن فوز الرئيس محمود أحمدي نجاد بفترة رئاسية ثانية، والتي تمثل ما يمكن تسميته "بالمعارضة من داخل النظام" . وهو ما منح الفرصة للسلطات الإيرانية لتضييق الخناق علي حركة الاعتراض، من خلال تحديد إقامة زعيمي الحركة، مهدي كروبي ومير حسين موسوي، والتهديد بشن حملة اعتقالات ومحاكمات في حالة تنظيم مظاهرات جديدة.(٢٢)

– الاستفادة من الزيادة الملحوظة في أسعار النفط، خصوصا" بعد وصول موجات التغيير الديمقراطي إلى ليبيا، وبروز توقعات باحتمال امتدادها إلي دول نفطية أخرى في المنطقة. ووفرت فرصة للنظام السياسي الإيراني لصرف الانتباه عن سوء الإدارة الاقتصادية لحكومة الرئيس محمود أحمدي نجاد من خلال اتهام القوى الكبرى بالمسؤولية عن المشكلات التي يواجهها الاقتصاد الإيراني في الوقت الحالي.(٢٣)

وعلى ضوء هذه التداعيات الإيجابية الأولية، اندفعت إيران إلى الحديث عن ولادة شرق أوسط جديد في المنطقة على أنقاض الأنظمة التي سقطت، واستدعت في هذه اللحظة مشروعها لإقامة شرق أوسط إسلامي الذي تبنته في مواجهة المشروعات التي طرحتها الولايات المتحدة الأمريكية، عقب احتلال العراق عام ٢٠٠٣، مثل مشروع "الشرق الأوسط الكبير"، و"الشرق الأوسط الجديد". فقد عبر وبكل اختصار وزير خارجية إيران علي أكبر صالحي عن المشروع الإيراني للمنطقة برمّتها بقوله " الانتفاضة في مصر ستساعد في إقامة شرق أوسط إسلامي".(٢٤) ويعتمد هذا المشروع الإيراني على محورين، **الأول**: أيديولوجي يتمثل في إيمان النظام السياسي الإيراني بحتمية قيام الحكومة العالمية للإسلام، وبضرورة اضطلاع إيران بدور قوي في التمهيد لذلك. **والثاني**: استراتيجي يتصل بمحاولات

إيران تكوين حزام أمني يكون بمثابة حائط صد لكل المحاولات التي يبذلها خصومها لاختراقها من الداخل، أو إحكام محاصرتها عبر دول الجوار .

أما أنصار الرأي المعاكس الذي يقول: إنّ الثورات العربية وضعت إيران في مأزق، وهي تناضل من أجل الخروج منه لتجد مكانا" لها في البيئة الإقليمية التي ستنبثق بعد هذه الثورات، فيستندون إلى عدد من الحجج منها :

– فعلى المستوى الداخلي، وضعت هذه التطورات الإقليمية النظام السياسي الإيراني في مأزق. فبقدر ما ساعدته في تضييق الخناق على قادة حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية، بقدر ما منحت الفرصة للأخيرة لاتخاذ خطوات عديدة بهدف إحراجه، وفرض مزيد من الضغوط عليه. إذ استثمرت تأييده العلني، وعلى لسان كبار مسؤوليه، مثل المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي، للثورتين المصرية والتونسية، لمطالبة السلطات الإيرانية بالسماح بتنظيم تظاهرات تأييد للثورتين المصرية والتونسية، على غرار ما فعل النظام الإيراني. وهو ما تم رفضه بحسم من جانب النظام الذي برر ذلك بأن الحركة تتبنى منذ بداية الأزمة أجندة داخلية صرفة، وأن مطالبها "قومية" بامتياز بدليل أن شعار "لا غزة ولا لبنان.. روحي فداء إيران" كان أحد الشعارات التي ميزت تظاهراتها ضد النظام بعد إجراء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩ ،(٢٥) بما يعني أنها تحاول استغلال الظرف الإقليمي من أجل إعادة تجديد نشاطها وتعبئة أنصارها، بعد التضييق الشديد الذي تعرضت له في الآونة الأخيرة. كما اندفعت بعض الأقليات الإيرانية إلى استثمار الظروف الإقليمية التي تمر بها المنطقة لتفعيل مطالبها بمنحها حقوقها السياسية والاقتصادية التي يكفلها الدستور. فعلى غرار "جمعة الغضب"، و"جمعة الزحف"، و"جمعة القصاص" التي شهدتها العديد من العواصم والمدن العربية، نظم بعض سكان الأهواز الإيرانيين "جمعة الغضب"، و"جمعة التحدي" في ١٥ و٢٢ أبريل ٢٠١١، الأمر الذي أدى إلى وقوع مواجهات مع قوات الأمن والحرس الثوري، أسفرت عن مقتل وجرح عدد غير قليل من الأهوازيين .(٢٦)

– أما على المستوى الإقليمي، فقد فرضت التطورات التي تشهدها العديد من الدول العربية "بدائل ضيقة" أمام إيران دفعتها إلى تبني سياسات متناقضة إزاءها. ففي الوقت الذي دعمت فيه الثورات والاحتجاجات التي شهدتها دول، مثل تونس ومصر والبحرين، ورأت أنها " مستوحاة من الثورة الإسلامية الإيرانية "، وصفت الأحداث التي شهدتها سوريا بأنها "شأن داخلي"، وأيدت إجراءات النظام السوري في التعامل معها.(٢٧)

هذا التناقض الواضح يطرح دلالة مهمة مفادها أن إيران تنظر إلى تطورات الإقليم بمنطق الدولة التي تعي مصالحها، وليس الثورة التي تلتزم بسقف أيديولوجي. ذلك لا يعني أن إيران استبعدت

أيديولوجيتها في تعاملها مع تطورات محيطها الخارجي، بل إنها تستدعيها في كثير من الأحيان، لكن عندما تكون متسقة مع مصالحها. أما في غير ذلك، فإنها تغلب الأخيرة في كل الحالات. ومن هنا يمكن تفسير أسباب تغاضيها عن الأحداث التي وقعت في سوريا، لأن الأخيرة هي حليفها الأساسي في المنطقة، ورفضها تنظيم مظاهرات في العراق، لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلي إرباك أوراقها وحساباتها المعقدة التي كانت تنتظر استحقاقات مهمة في تلك الفترة وعلى رأسها الانسحاب الأمريكي من العراق نهاية عام ٢٠١١ حسب الاتفاقية الأمنية الموقعة بين الطرفين .

هذه الحقيقة تحديدا" تضفي صعوبات متعددة أمام مشروع الشرق الأوسط الإسلامي الذي تتبناه إيران، والذي يفترض، في مضمونه الأعم، أن تستقيم العلاقات بين أطرافه علي أسس ومبادئ واضحة تقوم على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وتوازن المصالح، وهو ما لا يتوافر في تفاعلات إيران مع محيطها القريب. فإلى جانب أن المشروع يفتقد تعريفا" واضحا" لأهدافه وحدوده، فإن ثمة مخاوف تنتاب العديد من الأطراف من أن يكون مجرد أداة تستخدمها إيران لدعم تمددها في الإقليم، فضلا" عن أن الخلافات القائمة بين أطرافه تفرغه من مضمونه، بدءا" من أزمة الملف النووي الإيراني وما تنتجه من تداعيات سلبية محتملة، مرورا" بتهديدات إيران المتكررة باستهداف مصالح دول الجوار، في حالة تعرضها لضربة عسكرية أمريكية أو إسرائيلية، وانتهاء بتدخلاتها في الشؤون الداخلية لبعض هذه الدول.(٢٨)

– إن المسارات المحتملة للتطورات الجديدة في الشرق الأوسط يمكن أن تخصم من "النموذج" الذي سعت إيران، منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، إلى ترويجه وتصديره إلى دول الجوار، لصالح نماذج أخرى مثل "النموذج التركي"، الذي بدأ يحظى بأهمية وزخم خاص في رؤية العديد من الاتجاهات، باعتباره أنسب النماذج السياسية للحالتين المصرية والتونسية تحديدا". بل إن النموذج التركي نفسه يمكن أن يفقد جاذبيته في حالة نجاح مصر، علي سبيل المثال، في تأسيس "نموذج ديمقراطي" حقيقي، ربما يحظى في هذه الحالة بقبول عربي واسع لاعتبارات ثقافية وحضارية وتاريخية متعددة.(٢٩) وفي كل الأحوال، فإن الوصول إلي هذا النموذج لا يريح إيران، لأنه سيتضمن في كل الأحوال مبادئ وأسسا" تتعارض مع طروحاتها وتوجهاتها، مثل المواطنة، والحريات العامة، والمجتمع المدني وغيرها.لذا وعندما ادعت إيران، علي لسان المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي، أن " الثورات العربية تستلهم روح ونموذج الثورة الإسلامية في إيران وبالتالي فهي استمرار لها "،(٣٠) اندفعت العديد من التيارات الإسلامية التي شاركت في الثورات إلى رفض ذلك، حيث قال راشد الغنوشي، زعيم حركة " النهضة الإسلامية " التونسية، إنه " ليس الخميني وتونس ليست إيران

"،(٣١) فيما قالت حركة " الإخوان المسلمين " المصرية إن " الثورة المصرية ثورة شعبية مصرية خالصة، ولا يستطيع أحد أن ينسب الفضل لنفسه في القيام بها ".(٣٢)

– أن أهم ما يثير قلق إيران في هذه اللحظة هو وصول موجات " التسونامي الثوري" الحالية إلى حلفائها في المنطقة، لاسيما سوريا، إذ إن ذلك ينتج تداعيات سلبية عديدة على مصالحها ومساعيها إلى التمدد في الإقليم. والمفارقة هنا تكمن في أن مجمل السيناريوهات المختلفة التي يمكن أن تنتهي إليها الأزمة الحالية في سوريا تبدو غير مريحة بالنسبة لإيران. ففي حالة سقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد، فإن ذلك يعني في المقام الأول فقدان إيران لأهم حلفائها الإقليميين في المنطقة، وانقطاع "جسر التواصل " مع الحلفاء الآخرين، مثل حزب الله اللبناني، وحركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" الفلسطينيتين، بشكل يمكن أن يوجه ضربة قوية لطموحات إيران الإقليمية والنووية في آن واحد.(٣٣)

المشكلة هنا، في رؤية إيران، لا تكمن في احتمال سقوط النظام السوري الحليف فحسب، بل في التعامل مع البدائل المطروحة في حالة حدوث ذلك، والتي يبدو أن إيران غير مستعدة لها حتى الآن. فلا توجد مؤشرات توحي بوجود علاقات تربط بين إيران والقوى والتيارات السياسية السورية الأخرى التي يمكن أن تحل محل النظام القائم، بل إن بعضها ينتهج سياسة غير ودية تجاه إيران، فضلا" عن أن الدعم الملحوظ الذي تبديه إيران تجاه السياسة التي ينتهجها النظام السوري في مواجهة الاحتجاجات يزيد من تباعد المسافة بين إيران وهذه القوى السياسية، ويمنح في الوقت ذاته الفرصة لقوى إقليمية أخرى، على غرار تركيا، للعب دور مهم في التواصل مع القوى السورية الأخرى، استعدادا" للسيناريوهات المختلفة التي يمكن أن تتمخض عنها الأزمة الحالية.

والمفارقة هنا أنه حتى في حالة نجاح النظام السوري في تجاوز الأزمة الحالية، فإن ذلك يمكن أن ينتج تداعيات غير مريحة بالنسبة لطهران لاعتبارين، أولهما: إن هذا السيناريو لن يتحقق إلا مع إقدام النظام السوري على إجراء إصلاحات حقيقية، وتدشين حوار وطني جدي مع قوى المعارضة. ورغم أن هذا السيناريو يبدو صعب التحقق، في ظل رفض النظام تقديم تنازلات جوهرية في مواجهة الاحتجاجات وتأخره في طرح مبادرات التهدئة والاحتواء، فإنه يبقى مطروحا" على الطاولة. وفي حالة حدوثه، فإنه يمكن أن ينتهي إلى التوافق حول أجندة سياسات داخلية وخارجية ربما تتعارض مع مصالح إيران، لاسيما في ظل التحفظات التي تبديها العديد من هذه القوى على التحالف الإيراني – السوري. وثانيهما: إن نجاح النظام في التوصل إلي هذه الصيغة التي يمكن أن تتيح له البقاء في السلطة لن يتحقق، في الغالب، إلا من خلال حصوله على قبول دولي. وهنا مكمن الخطورة بالنسبة لطهران، لأن القوى الكبرى، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، ربما لن توافق على تمرير ذلك السيناريو

بدون موافقة النظام السوري على الاستجابة لشروطها المسبقة، وعلى رأسها فك التحالف مع إيران، والابتعاد عن كل من حزب الله اللبناني وحركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" الفلسطينيتين.(٣٤)

– فضلا" عن ذلك، فإن نجاح إيران في استغلال الانشغال الدولي في قراءة تداعيات الثورات العربية لزيادة مخزونها من اليورانيوم المخصب لا يعزز موقفها كثيرا" في الأزمة النووية، لاسيما في ظل وجود اطمئنان غربي، بدرجة ما، إلى أن البرنامج النووي الإيراني بات يواجه مشكلات وصعوبات كبيرة، وهو ما يوفر حرية حركة وهامش مناورة في التعامل مع إيران، على أساس أن هذه المشكلات تمنح الغرب مزيدا" من الوقت، يستطيع من خلاله فرض أكبر قدر من الضغوط والعقوبات الدولية على إيران بشكل يمكن أن يدفعها في النهاية إلى الاستجابة لمطالب المجتمع الدولي، خاصة وقف عمليات تخصيب اليورانيوم. ومن هنا، يمكن تفسير عدم الاهتمام الغربي بالرسالة التي وجهتها إيران إلى وزيرة الخارجية بالاتحاد الأوروبي، كاثرين آشتون، والتي دعت فيها إلى مواصلة المفاوضات، حيث ردت الأخيرة بأن " الرسالة الإيرانية لم تتضمن أي جديد، ولا يبدو أنها تبرر عقد اجتماع جديد ".(٣٥)

خيارات متقاطعة ومسارات متشابكة كلها سوف تنتج تداعيات على مصالح إيران وموقعها داخل الإقليم في اتجاه تراجع هذا الدور، في ظل بروز أدوار لقوى أخرى تشكل خصما" من الرصيد الإيراني، وفي ظل احتمالات تراجع قوة الحلفاء التقليديين (سوريا)، وتفجر العديد من الملفات الداخلية والإقليمية في وجه الدولة الإيرانية، بما يجعلها مضطرة لتقييد دورها الإقليمي والتراجع عن بعض أهدافها. ولكن كل هذه الاحتمالات تبقى، لكنها مؤجلة إلى أن تتبلور ملامح الشرق الأوسط الجديد، بعد انتهاء موجات التغيير الديمقراطي التي تجتاح المنطقة في الفترة الحالية.

الاستنتاجات :

نخلص مما سبق إلى النتائج والاحتمالات الآتية :

١– لا يختلف اثنان على أن الرؤية الإيرانية لأحداث الربيع العربي تبدو مزدوجة المعايير وتكيل بمكيالين وفقاً لمصالحها، فالثورة الشعبية المصرية والتونسية هي، مكسب لسياسة إيران الإقليمية والدولية بل وتتجاوز ذلك إلى اعتبارها جزءاً من الصحوة الإسلامية، ولكن ما يحدث في بلاد عربية أخرى ، سوريا مثلا"،لا يلقى الترحيب نفسه ولا يتمتع بالدعم ذاته، لذلك فإن موقف طهران محكوم، كما هو دائماً، بمعايير مصلحة "إيران الدولة" ومكاسب "إيران الثورة"، ولا شك في أن وجود "حزب الله" باعتباره الفصيل الأقوى للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي يشكل بالضرورة هو الآخر بعداً أساسياً في نظرة إيران إلى ثورات المنطقة العربية.

٢- لا شك في أن التغييرات التي طرأت على نظم الحكم العربية في دول التغيير الثوري قد أفرزت مواقف مختلفة، ولعل موقف الخارجية المصرية من العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع طهران، كما بشر بها أول وزير خارجية لمصر بعد الثورة، هي تأكيد لردود الفعل التي طرحتها الثورات العربية، فنحن أمام تغير هائل نتيجة ذلك الزلزال القوي الذي ضرب الأنظمة العربية في شكلٍ لم يكن متوقعاً في حدته ونوعيته وأسلوب تأثيره في الشارع العربي بهذه السرعة.

٣- أن هذه التطورات المتسارعة التي تشهدها المنطقة يمكن أن تنتج تداعيات ايجابية عدة على مصالح إيران وطموحاتها في أن تصبح رقما" مهما" في معظم الملفات الإقليمية أن لم يكن مجملها. فإلى جانب إسقاط النظامين المصري والتونسي اللذين تعتبرهما طهران من حلفاء الغرب في المنطقة، فأن إيران رأت أن الاهتمام الغربي الملحوظ بما يحدث في الشرق الأوسط يمكن أن يصب في صالحها لاسيما فيما يتعلق بتقوية موقفها في أزمة ملفها النووي. إذ أن الخلافات القائمة في الوقت الحالي بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا من ناحية وكل من روسيا والصين من ناحية أخرى حول التعاطي مع الاحتجاجات والثورات التي تجتاح المنطقة، خصوصا" في أزمتي ليبيا وسوريا، تصرف الانتباه، بدرجة ما، عن برنامج إيران النووي بشكل يمكن أن يمنح إيران مزيدا" من الوقت يساعدها على تحقيق هدفين :

أولهما، التعامل بجدية مع المشكلات التكنولوجية التي يعاني منها البرنامج النووي في الوقت الحالي خصوصا" بعد نجاح فيروس "ستوكسنت" في تدمير ما يقرب من ألف جهاز طرد مركزي والحيلولة دون توسيع منشأة "ناتانز" لتخصيب اليورانيوم، بشكل أدى، على ما يبدو، إلى حدوث تأخير ملحوظ في البرنامج النووي. **وثانيهما**، إنتاج أكبر كمية ممكنة من اليورانيوم المخصب، مع ضمان عدم التعرض لعقوبات دولية في الوقت الحالي نتيجة انشغال الغرب بأزمات المنطقة، بشكل يساعد على تدعيم موقف إيران التفاوضي في حالة أجراء مباحثات جديدة مع مجموعة (٥+١)، التي تتألف من ممثلين عن الأعضاء الدائمين لمجلس الأمن وهي كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين بالإضافة إلى ألمانيا .

٤- أن التطورات الحالية التي تعصف بمنطقة الشرق الأوسط يمكن أن تنتج تداعيات سلبية عديدة على طموحات إيران الإقليمية والنووية من جهات عدة: **أولها**، انتفاء الصورة التي رسمتها إيران لنفسها باعتبارها "الأمة الثائرة " في المنطقة، وتقلص حالة الأهمية والزخم الذي حظي به "النموذج السياسي" الذي سعت إلى ترويجه في المنطقة لصالح "النموذج التركي" الذي يعتبر أقرب النماذج للتطبيق في الدول العربية التي تسعى إلى إقامة نظم ديمقراطية بعد انهيار الأنظمة السابقة. **وثانيها**، حرمان إيران من

المزايدة على دول الاعتدال العربي فيما يتعلق بالموقف من القضية الفلسطينية تحديدا"، بعد التغييرات الملحوظة في السياسة الخارجية التي بدأت تتبناها بعض هذه الدول، مثل مصر، تجاه هذه القضية تحديدا". **وثالثها**، انتهاء عهد الاستقطاب العربي بين دول حليفة لإيران ودول معادية لها. إذ أن وصول موجات "التسونامي الثوري" إلى سورية يدعم من احتمال اختفاء أهم حلفاء إيران من المشهد الإقليمي، بشكل يمكن أن يوجه ضربة قاصمة لطهران لاسيما أن البدائل المطروحة للحلول محل نظام الرئيس السوري بشار الأسد لا تبدي مواقف ايجابية تجاه طهران. وحتى في حال نجاح هذا النظام في الإفلات من شبح السقوط، فان ذلك لا يضمن استمراره في الالتزام بالسقوف السياسية التي يفرضها التحالف مع إيران، خصوصا" أن بقاءه سيرتبط في هذه الحالة بوجود قبول دولي، وهو ما لن يحدث إلا من خلال أقدام النظام على إجراء تغييرات ملموسة في سياسته الخارجية باتجاه تقليص تحالفه مع إيران والابتعاد عن لعب دور "همزة الوصل" بين الأخيرة وكل من "حزب الله" اللبناني وحركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" الفلسطينيتين . كما أن السياسة المتشددة التي انتهجتها إيران إزاء بعض الأزمات التي شهدتها الدول العربية في الفترة الأخيرة أفرزت مواقف عربية أقل تناقضا" تجاه إيران، وهو ما يبدو جليا" في الأزمة البحرينية تحديدا"، فقد دفع تدخل إيران في الأزمة دول مجلس التعاون الخليجي إلى تجاوز خلافاتها فيما يتعلق بالتعامل مع طهران وتبني موقف موحد يقوم على رفض تدخل إيران في الشؤون الداخلية واعتبار "أمن البحرين" خطا" أحمر لا يمكن تجاوزه .

٥- صفوة القول هنا أن حالة الضعف التي تنتاب الدور الإقليمي الإيراني بفعل موجات "التسونامي الثوري" التي تجتاح المنطقة في الوقت الحالي يمكن أن تنتج تداعيات سلبية قوية على طموحاتها النووية. فقد حرصت إيران في السابق على تبني ما يسمى " بسياسة تشبيك الملفات " التي تقوم على استثمار وجودها القوي في بعض الملفات الإقليمية كالملف العراقي والأفغاني لخدمة ملفها النووي من جهتين: **أولاهما**، تقوية موقفها التفاوضي مع الغرب وإضفاء صعوبات عديدة على خيار توجيه ضربة عسكرية لمنشآتها النووية. **وثانيتهما**، الحصول على أفضل مكاسب، أمنية وإقليمية وتكنولوجية، ممكنة في حالة الوصول إلى تسوية سلمية للأزمة.

وبالطبع، فان التحديات القوية التي تفرضها الموجات الثورية الحالية على تلك السياسة تفقد إيران نقاط قوة عديدة كانت تمتلكها في السابق وتدفع الغرب إلى التروي في دراسة مسألة الدخول في جولة مفاوضات جديدة معها، انتظارا" لما يمكن أن تسفر عنه هذه التطورات المتسارعة التي تعصف بمنطقة الشرق الأوسط، والتي سوف تفرض حتما" تغييرات جذرية في توازنات القوى في منطقة الشرق الأوسط

، بشكل سوف يدفع كل الأطراف بما فيها إيران إلى إعادة ترتيب أوراقها وحساباتها من جديد، وهي كلها تطورات تؤشر إلى أن أزمة الملف النووي الإيراني لم تعد تحظى بنفس الأهمية والزخم اللذين حظيت بهما في فترة ما قبل هبوب رياح التغيير الديمقراطي على المنطقة.

هوامش البحث :

١- "خامنئي: التحركات الشعبية في تونس ومصر بوادر يقظة إسلامية" ، صحيفة النهار،العدد (١١٦٤)، شركة دار النهار للصحافة و الطباعة و النشر و التوزيع، ٤ شباط/فبراير ٢٠١١ ، ص١١. على الرابط التالي :

- http://www.annaharkw.com/annahar/Article.aspx?id=253554

٢- ينظر : (النص الكامل لخطاب الإمام الخامنئي في صلاة الجمعة حول التطورات الأخيرة للعالم الإسلامي) ، موقع رحماء ، اتحاد طلاب العالم الإسلامي ، طهران ، ٥ شباط/فبراير ٢٠١١ ، على الرابط التالي :

-http://www.rohama.org/ar/pages/?cid=4560

٣- ينظر : - تصريحات خامنئي، " قائد الثورة: الثورة الإسلامية الإيرانية أنموذج للصحوة الإسلامية في المنطقة" ، **وكالة مهر للأنباء**، ٤ آذار/مارس ٢٠١١. على الرابط التالي :

&NewsID=1266325 - http://www.mehrnews.com/ar/NewsDetail.aspx?pr=s&query=خامنئي%٢٠

- وتصريحات الرئيس محمود أحمدي نجاد، " أحمدي نجاد: العصر الراهن هو عصر زوال المستكبرين" ، **وكالة مهر للأنباء**، ٢١ شباط /فبراير ٢٠١١. على الرابط التالي :

-http://www.mehrnews.com/ar/NewsDetail.aspx?pr=s&query=NewsID=1258525قائد%٢٠الثورة%٢٠

- وتصريحات رئيس مجلس الشورى الإسلامي علي لاريجاني، " لاريجاني: على النظام المصري أن يحترم إرادة شعبه" ، **وكالة مهر للأنباء**، ١١ شباط /فبراير ٢٠١١. على الرابط التالي :

- http://www.mehrnews.com/ar/NewsPrint.aspx?NewsID=1251241

٤- "خامنئي: التحركات الشعبية في تونس ومصر بوادر يقظة إسلامية" ،لبنان الآن بالعربية ،٤ فبراير / شباط ٢٠١١ ، على الرابط التالي :

-http://www.nowlebanon.com/NewsArchiveDetails.aspx?ID=237406

٥- ينظر : " أحمدي نجاد: العصر الراهن هو عصر زوال المستكبرين" ، المصدر السابق .

٦- "خامنئي: التحركات الشعبية في تونس ومصر بوادر يقظة إسلامية" ،لبنان الآن بالعربية ، المصدر السابق .

٧- ينظر : " قائد الثورة: انتفاضات شعوب المنطقة ستصل بالتأكيد إلى قلب أوروبا" ، **وكالة مهر للأنباء**، ٤ أيار/ مايو ٢٠١١. على الرابط التالي :

-http://www.mehrnews.com/ar/NewsPrint.aspx?NewsID=1305055

٨- ساري حنفي ،ثورتا الياسمين والميدان : قراءة سوسيولوجية ،مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع) ، العدد (١٣) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، شتاء ٢٠١١ ،ص٤ .

٩- احمد لاشين ، لماذا تحاول إيران اختطاف الياسمين ، صحيفة إيلاف الاليكترونية ، لندن ، في ٢٢ يناير ٢٠١١ ،ص٢. على الرابط التالي :
http://www.elaph.com/Web/opinion/2011/1/626476.html?entry=articleRelatedArticle

١٠- (احمدي نجاد : التونسيون على طريق إقامة حكم إسلامي) ، صحيفة الشرق الأوسط ، العدد (١١٧٤١) ، لندن ، في ٢٠ يناير ٢٠١١ ، ص١ . على الرابط التالي :
http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11741&article=604645&feature=

١١- ينظر : النص الكامل لخطبة مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي الخامنئي ، على الرابط التالي:
http://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=10955

١٢- ينظر :صحيفة مصرنا ،المركز الأمريكي للنشر الالكتروني ،القاهرة ، في ٦ / ١ / ٢٠١١ ، ص٢. على الرابط التالي :
http://www.ouregypt.us/b.Lasheen/ahmed%20lasheeeeeeeeeeen9.html

١٣- احمد لاشين ،مصدر سابق ،ص٣ .

١٤- ينظر :(في خطبة الجمعة ألقاها باللغة العربية خامنئي: الشعوب بدأت زلزال التغيير الذي يبشر باليقظة الإسلامية) ، صحيفة الوسط ، العدد (٣٠٧٤) ،البحرين ، في ٥ فبراير ٢٠١١ ، ص٦

١٥- ينظر : (رفسنجاني :مصر تحتاج إلى إمام خميني) ، صحيفة الوسط ،العدد (٣٠٧٩) ، البحرين ،في ١٠ فبراير ٢٠١١ ،ص٢ . على الرابط التالي :
http://www.alwasatnews.com/3079/news/read/526512/1.html

١٦- محمد صالح صدقيان ، (نجاد يؤكد أن الثورة «لم تفقد بريقها»: صحوة لشرق أوسط بلا أميركا وإسرائيل) ، صحيفة الحياة ، لندن ،في ١٢ فبراير ٢٠١١ ،ص٢. على الرابط التالي :
http://international.daralhayat.com/internationalarticle/233444

١٧- ينظر : (منظر الجماعة الإسلامية بمصر لـ«الشرق الأوسط»: الثورة ملك شباب « فيس بوك») ، صحيفة الشرق الأوسط ،العدد (١١٧٦٣) ،لندن ،في ١١ فبراير ٢٠١١ ،ص٤. على الرابط التالي :
http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11763&article=607818&feature=

١٨- ينظر : د. رشاد البيومي ، (ليس من حق احد القفز على مكاسب الشباب) ،صحيفة الأهرام ، السنة (١٣٥) ، العدد (٤٥٣٥٤) ، القاهرة ، ٨ فبراير ٢٠١١ ، ص٣. على الرابط التالي :
http://www.ahram.org.eg/Al-Ahram-Files/News/61821.aspx

١٩- محمد مسلم الحسيني ، من سينتصر :دهاء إيران أم قوة أمريكا ؟ ،شبكة النبأ المعلوماتية ،ص٤ . على الرابط التالي :
http://www.annabaa.org/nbanews/67/349.htm

20- Marc Lynch , U.S. Policy Toward Iran in a Changing Middle East, Center for a New American Security , June 2011, p.7. On The Following Link : http://www.cnas.org/files/documents/publications/CNAS_Upheaval_Lynch_2.pdf

٢١- (الوكالة الذرية : إيران ستسحب الوقود من قلب مفاعل بوشهر لأسباب تقنية) ، صحيفة السفير ،العدد (١١٨٤٦) ،لبنان ، في ٢٤ / ٣ / ٢٠١١ ،ص٢ . على الرابط التالي :

http://www.assafir.com/MulhakArticle.aspx?EditionId=1805&MulhakArticleId=93364&MulhakId=1400

ينظر أيضا" :(طهران : اتهامات وكالة الطاقة الذرية لا أساس لها) ، صحيفة الوطن ،السنة (١٤) ، العدد (٥٧٤٤) ، الكويت ، في ٢٦ / ٥ / ٢٠١١ ،ص٤ . على الرابط التالي :

http://www.al-watan.com/viewnews.aspx?n=50EB6835-87A5-4ABC-B3CD-8EBC02C37994&d=20110526

٢٢- محمد عباس ناجي ، رؤية إيرانية مرتبكة لثورة مصر ، تحليلات ، موقع المعرفة ، في ٦ / ٣ / ٢٠١١ ، ص٣-٤ . على الرابط التالي :

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0EA6E862-1FFD-44B2-946D-1C1078CB826D.htm

٢٣- محمد عباس ناجي ، طهران حاولت استغلال انشغال الغرب بهذه الموجات ... لكنها فشلت ، تقارير ،صحيفة السياسة ،الكويت ،١٠ / ٧ / ٢٠١١ ، ص٢ . على الرابط التالي :

/ArticleID/147423 http://www.al-seyassah.com/AtricleView/tabid/59/smid/438 /reftab/76/Default.aspx

٢٤- طوني أبي نجم ، حقيقة المشروع الإيراني : شرق أوسط إسلامي ،موقع القوات اللبنانية ،في ١ شباط ٢٠١١ ، ص٢ . على الرابط التالي :

http://www.lebanese-forces.com/web/MoreNews.aspx?newsid=124627

٢٥- محمد عباس ناجي ، إيران ومجلس التعاون : الجدل بين المصلحة والايدولوجيا ،صحيفة الأهرام ، القاهرة ،ص٣ . على الرابط التالي :

http://www.ahram.org.eg/Print.aspx?ID=71619

٢٦- ينظر :(عشرات القتلى والجرحى بين الأحوازيين في جمعة التحدي) ،صحيفة الشرق الأوسط ،العدد (١١٨٣٤) ،في ٢٣ أبريل ٢٠١١ ،ص٢ . على الرابط التالي :

http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=618535&issueno=11834

٢٧- عمار مسعد محمد السبع ،ملاحظات حول الموقف الإيراني من الثورات العربية ،الحوار المتمدن ، العدد (٣٣٦٧) ، في ١٦ / ٥ / ٢٠١١ ، ص٢-٣ . على الرابط التالي :

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=259327

٢٨- (الإقليمية الجديدة .. الأدوار المتحولة للاعبين الرئيسيين في الشرق الأوسط) ،ملف العدد ،مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٨٥) ، القاهرة ، يوليو ٢٠١١ ،ص٧ . على الرابط التالي :

http://www.siyassa.org.eg/NewsQ/1817.aspx

٢٩- علي حسين باكير ، العلاقات الإيرانية – التركية في ظل الثورات العربية ،تقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٢ / ٦ / ٢٠١١،ص٦ . على الرابط التالي :
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0B62AE3E-7D9F-459A-8D2A-0464E88FCF50.htm

٣٠- خالد الدخيل ، إيران وموقفها من الثورات العربية ،صحيفة الحياة السعودية ، في ٢٠ مارس ٢٠١١ ، ص٢ . على الرابط التالي :
http://ksa.daralhayat.com/ksaarticle/246255

٣١- ينظر :(الغنوشي : سأعود قريبا" ولا تقارنوني بالخميني) ، صحيفة العرب القطرية ، في ٢٣ / ١ / ٢٠١١ ، ص١ . على الرابط التالي :
http://www.alarab.com.qa/details.php?docId=171032&issueNo=1133&secId=15

٣٢- ينظر :(الإخوان ينأون بأنفسهم عن إيران ويرفضون دولة دينية) ،CNN بالعربية ، في ١٦ آذار / مارس ٢٠١١ ، ص١ . على الرابط التالي :
http://arabic.cnn.com/2011/egypt.2011/2/10/ekhean.iran/index.html

٣٣- محجوب الزويري ،العلاقات الإيرانية – السورية والحراك السوري الشعبي ، تقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، في ٢٤ / ٨ / ٢٠١١،ص٤. على الرابط التالي :
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C2B90284-5612-400D-852C-321199BD447E.htm

٣٤- ينظر :(الإقليمية الجديدة .. الأدوار المتحولة للاعبين الرئيسيين في الشرق الأوسط) ، مصدر سابق ،ص٨.

٣٥- ينظر :(أوروبا : رد إيران لا يبرر عقد اجتماع نووي جديد) ، صحيفة الاتحاد ، في ١٢ مايو ٢٠١١ ، ص١. على الرابط التالي :
http://www.alittihad.ae/details.php?id=45344&y=2011

مصادر البحث :

أولا" : المصادر باللغة العربية :

أ- المجلات :

١- حنفي ، ساري ،ثورتا الياسمين والميدان : قراءة سوسيولوجية ،مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع) ، العدد (١٣) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، شتاء ٢٠١١.

٢- مجلة السياسة الدولية ،(الإقليمية الجديدة .. الأدوار المتحولة للاعبين الرئيسيين في الشرق الأوسط) ،ملف العدد ، العدد (١٨٥) ، القاهرة ، يوليو ٢٠١١.

ب- الصحف :

١- البيومي ، رشاد ، (ليس من حق احد القفز على مكاسب الشباب) ،صحيفة الأهرام ، السنة (١٣٥) ، العدد (٤٥٣٥٤) ، القاهرة ، ٨ فبراير ٢٠١١.

٢- الدخيل ، خالد ، إيران وموقفها من الثورات العربية ،صحيفة الحياة السعودية ، في ٢٠ مارس ٢٠١١.

٣- صحيفة الاتحاد ، (أوروبا : رد إيران لا يبرر عقد اجتماع نووي جديد) ، في ١٢ مايو ٢٠١١،

٤- صحيفة السفير ،الوكالة الذرية : إيران ستسحب الوقود من قلب مفاعل بوشهر لأسباب تقنية) ، العدد (١١٨٤٦) ،لبنان ، في ٢٤ / ٣ / ٢٠١١,

٥- صحيفة الشرق الأوسط ، (احمدي نجاد : التونسيون على طريق إقامة حكم إسلامي) ، العدد (١١٧٤١) ، لندن ، في ٢٠ يناير ٢٠١١,

٦- صحيفة الشرق الأوسط ، (منظر الجماعة الإسلامية بمصر لـ«الشرق الأوسط»: الثورة ملك شباب « فيس بوك») ، العدد (١١٧٦٣) ،لندن ،في ١١ فبراير ٢٠١١,

٧- صحيفة الشرق الأوسط ، (عشرات القتلى والجرحى بين الأحوازيين في جمعة التحدي) ، العدد (١١٨٣٤) ،في ٢٣ أبريل ٢٠١١ .

٨- صحيفة العرب القطرية ، (الغنوشي : سأعود قريبا" ولا تقارنوني بالخميني) ، في ٢٣ / ١ / ٢٠١١,

٩- صحيفة مصرنا ،المركز الأمريكي للنشر الالكتروني ،القاهرة ، في ٦ / ١ / ٢٠١١,

١٠- صحيفة النهار،(خامنئي: التحركات الشعبية في تونس ومصر بوادر يقظة إسلامية)، العدد (١١٦٤)، شركة دار النهار للصحافة و الطباعة و النشر و التوزيع، ٤ شباط/فبراير ٢٠١١,

١١- صحيفة الوسط ،(في خطبة الجمعة ألقاها باللغة العربية خامنئي: الشعوب بدأت زلزال التغيير الذي يبشر باليقظة الإسلامية) ، العدد (٣٠٧٤) ،البحرين ، في ٥ فبراير ٢٠١١,

١٢- صحيفة الوسط ، (رفسنجاني :مصر تحتاج إلى إمام خميني) ، العدد (٣٠٧٩) ، البحرين ،في ١٠ فبراير ٢٠١١.

١٣- صحيفة الوطن ، (طهران : اتهامات وكالة الطاقة الذرية لا أساس لها) ، السنة (١٤) ، العدد (٥٧٤٤) ، الكويت ، في ٢٦ / ٥ / ٢٠١١.

١٤- صدقيان ،محمد صالح ، (نجاد يؤكد أن الثورة «لم تفقد بريقها»: صحوة لشرق أوسط بلا أميركا وإسرائيل) ، صحيفة الحياة ، لندن ،في ١٢ فبراير ٢٠١١ .

١٥- ناجي ، محمد عباس ، إيران ومجلس التعاون : الجدل بين المصلحة والايدولوجيا ،صحيفة الأهرام ، القاهرة .

١٦- ناجي ،محمد عباس ، طهران حاولت استغلال انشغال الغرب بهذه الموجات ... لكنها فشلت ، تقارير ،صحيفة السياسة ،الكويت ،١٠ / ٧ / ٢٠١١ .

١٧- لاشين ،احمد ، لماذا تحاول إيران اختطاف الياسمين ، صحيفة إيلاف الاليكترونية ، لندن ، في ٢٢ يناير ٢٠١١.

ج- التقارير :

١- باكير ، علي حسين ، العلاقات الإيرانية – التركية في ظل الثورات العربية ،تقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٢ / ٦ / ٢٠١١ .

٢- الزويري ،محجوب ،العلاقات الإيرانية – السورية والحراك السوري الشعبي ، تقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، في ٢٤ / ٨ / ٢٠١١.

د- وكالات الأنباء :

١- **وكالة أنباء** CNN **بالعربية** ، (الإخوان ينأون بأنفسهم عن إيران ويرفضون دولة دينية) ، في ١٦ آذار / مارس ,٢٠١١

٢- **وكالة مهر للأنباء**، تصريحات خامنئي، (قائد الثورة: الثورة الإسلامية الإيرانية أنموذج للصحوة الإسلامية في المنطقة)، ٤ آذار/مارس ٢٠١١.

٣- **وكالة مهر للأنباء**،تصريحات الرئيس محمود أحمدي نجاد، " أحمدي نجاد: العصر الراهن هو عصر زوال المستكبرين" ، ٢١ شباط /فبراير ٢٠١١.

٤- **وكالة مهر للأنباء**، تصريحات رئيس مجلس الشورى الإسلامي علي لاريجاني، " لاريجاني: على النظام المصري أن يحترم إرادة شعبه" ، ١١ شباط /فبراير ٢٠١١.

٥- **وكالة مهر للأنباء**، " قائد الثورة: انتفاضات شعوب المنطقة ستصل بالتأكيد إلى قلب أوروبا" ، ٤ أيار/ مايو ٢٠١١.

هـ – الشبكة الدولية للمعلومات (مواقع الانترنت) :

١- أبي نجم ، طوني، حقيقة المشروع الإيراني : شرق أوسط إسلامي ،موقع القوات اللبنانية ،في ١ شباط ٢٠١١. على الرابط التالي :
http://www.lebanese-forces.com/web/MoreNews.aspx?newsid=124627

٢- الحسيني ،محمد مسلم ، من سينتصر :دهاء إيران أم قوة أمريكا ؟ ،شبكة النبأ المعلوماتية. على الرابط التالي :http://www.annabaa.org/nbanews/67/349.htm –

٣- السبع ،عمار مسعد محمد ،ملاحظات حول الموقف الإيراني من الثورات العربية ،الحوار المتمدن ، العدد (٣٣٦٧) ، في ١٦ / ٥ / ٢٠١١ . على الرابط التالي :
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=259327

٤- موقع رحماء ، (النص الكامل لخطاب الإمام الخامنئي في صلاة الجمعة حول التطورات الأخيرة للعالم الإسلامي) ، اتحاد طلاب العالم الإسلامي ، طهران ، ٥ شباط/فبراير ٢٠١١ ، على الرابط التالي :

http://www.rohama.org/ar/pages/?cid=4560

٥- موقع لبنان الآن بالعربية ،"خامنئي: التحركات الشعبية في تونس ومصر بوادر يقظة إسلامية" ، ٤ فبراير / شباط ٢٠١١ ، على الرابط التالي :

-http://www.nowlebanon.com/NewsArchiveDetails.aspx?ID=237406

٦- ناجي، محمد عباس ، رؤية إيرانية مرتبكة لثورة مصر ، تحليلات ، موقع المعرفة ، في ٦ / ٣ / ٢٠١١. على الرابط التالي :

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0EA6E862-1FFD-44B2-946D-1C1078CB826D.htm

٧- ينظر :(النص الكامل لخطبة مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي الخامنئي) ، على الرابط التالي:

- http://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=10955

ثانيا" : المصادر الانكليزية :

١- Lynch , Marc , U.S. Policy Toward Iran in a Changing Middle East, Center for a New American Security , June 2011.

Dimensions of Iran's Geostrategic Position of Popular Revolts in the Arab States: (Revolutions of Tunisia and Egypt model)

Assistant Professor Dr. Fahad Mizban Khazar ALKhazar

Abstract :

The research aims to analyze the dimensions of the situation geostrategic Iranian popular revolutions in the Arab countries, with a focus on the revolutions of Tunisia and Egypt model, also seeks to answer the fundamental question the effect: Is the Iranian position doomed criteria interest (Iran state) or (Iran revolution) that adhere to the roof ideological, and sealed search of trying to explore the future of Iran's regional role after popular revolts in the Arab States and its repercussions on the regional and international levels.